صراع الزعامة على منطقة الشرق الأوسط

د. بوعلام العباسي
جامعة الجزائر 3

تعني تسمية "الشرق الأوسط" مجمل الرقعة الجغرافية الشاسعة التي يقع فيها معظم الوطن العربي وقسم من الجوار الإسلامي الشمالي والشرقي الممتد من الأناضول إلى حدود باكستان. غير أنه يجري تسويق هذه التسمية لصياغة تعريف سياسي -ثقافي جديد للمنطقة مختلف تماماً عما قصدته التسمية الجغرافية التقليدية للشرق الأوسط [1]. وقد جاء مشروع "نظام الشرق الأوسط"، الذي هندسته المخابر الأمريكية والإسرائيلية، كنقيض للنظام الإقليمي العربي الذي يراد له الذوبان والإندثار، من أجل فرض إسرائيل كمكون من مكونات المنطقة.

تُعتبر منطقة الشرق الأوسط ذات أهمية استراتيجية عالمية تنافست عليها الأمم منذ القدم، بسبب موقعها الهام وثرواتها الهائلة. كما تعاقبت عليها حضارات عظيمة أسهمت في رقي البشرية، وهي أيضاً مهد كل الديانات السماوية. وتعيش هذه المنطقة اليوم، فضلاً عن التنافس العالمي عليها، تنافساً من بعض القوى الموجودة بها على زعامتها وقيادتها. ومن هذه القوى: إيران، وتركيا، والسعودية، وإسرائيل، حيث يُسجَّل هنا تراجع الدور المصري بسبب الأوضاع التي تمر بها البلاد.

لم تعرف هذه المنطقة الإستقرار أبداً، حيث تعيش حالة هشاشة دائمة في مجال الأمن، إذ لم تترك التدخلات الخارجية للقوى العظمى مجالاً لاستتباب الأمن فيها. فهذه القوى تسعى إلى السيطرة على المنطقة، أو على الأقل إلى إيجاد موضع قدم فيها يضمن لها مصالحها. وقد عملت هذه القوى الأجنبية على تفتيت وتشتيت مكونات المنطقة، من خلال خلق نزاعات بين مختلف دول المنطقة، بل وحتى داخل هذه الدول نفسها، باللعب على أوتار حساسة لتأجيج الصراعات، كإشعال النار الطائفية على وجه الخصوص، للحيلولة دون حصول وحدة أو تعاون بين دول المنطقة التي تعد منطقة إسلامية بامتياز، كما هو معروف.

والحقيقة أن هذه المنطقة المضطربة أصلاً قد ازدادت أوضاعها اضطراباً منذ ظهور دولة إسرائيل،

فهذا الكيان المصطنع يسعى إلى السيطرة على المنطقة وضرب أي قوة محلية تسعى إلى الصعود، ولكن مع ذلك تتنافس دول، كإيران وتركيا والسعودية، على الحصول على مكان الريادة في منطقة الشرق الأوسط. غير أن الإشكال المطروح: هل بإمكان إحدى هذه الدول أن تتبوأ المكانة الأولى أمام إسرائيل في ظل ما تحصل عليه من دعم غربي عظيم، وخاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية؟

لمعالجة هذا الإشكال، ينبغي استعراض بعض المعطيات المتعلقة بالدول المتنافسة أو حتى المتصارعة على زعامة منطقة الشرق الأوسط لمعرفة مدى إمكانياتها للحصول على موقع الريادة.

1-إيـــــران:

تحتل إيران موقعاً جيوستراتيجياً شاسعاً وهاماً، ولديها موارد نفطية وغازية معتبرة، وثقل سكاني كبير، هذا فضلاً عن ماضيها التاريخي العريق. فلقد كانت الإمبراطورية الفارسية نداً للإمبراطورية الرومانية. وقد خلقت كل هذه المواصفات لإيران طموحات لأن تكون قوة إقليمية ضاربة. ولكن منذ عهد الشاه، كانت علاقاتها بالدول العربية، وخاصة الخليجية منها متدهورة جداً، وازدادت تدهوراً مع انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية في عام 1979.

قرر البرلمان الإيراني في عهد الشاه، في عام 1959، أن يجعل من الإمارات العربية مقاطعة رابعة لإيران. ولذلك، فإنه ما إن تم الإعلان عن دستور الإمارات العربية المتحدة في عام 1971 حتى سارعت طهران إلى رفض الإعتراف بهذه الدولة الجديدة [2]، التي ظلت تعتبرها امتداداً لإقليمها، ولا تزال تحتل إلى يومنا هذا جزرها الثلاث: جزيرة أبي موسى، وجزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى.

شكل انتصار الثورة الإسلامية في إيران هاجساً أمنياً كبيراً لدى الكثير من الدول العربية، التي خشيت أنظمتها من مدها ومن نشر المذهب الشيعي فيها. وبعد الإحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003، إزداد هذا الهاجس بعد أن أصبح لإيران نفوذ كبير داخل هذا البلد المحطم والممزق.. لقد أصبح العراق في صميم الإستراتيجية الإقليمية الإيرانية، وقد أصبحت إيران تستغل النعرات الطائفية التي تحدث هنا وهناك في البلاد العربية. فإضافة إلى العراق، فإنها حاضرة في البحرين، ، وفي اليمن، وفي لبنان، وفي غيرها من الدول العربية، ما يعني أنها تستخدم الورقة الطائفية للضغط ولبسط نفوذها في المنطقة. ولم يعد خافياً على الأمريكيين وعلى العالم أجمع أن إيران مثلما هي طرف فاعل في حل بعض قضايا المنطقة، فإنها قد تصبح مصدراً للقلاقل والإضطرابات فيها. ولذلك، لم يتسرع الأمريكيون في استخدام الحل العسكري مع إيران لتسوية ملفها النووي إلى حد الآن، ولم ينجروا وراء المطلب الإسرائيلي بتوجيه ضربة عسكرية لتحطيم منشآتها النووية.

كان الرأي السائد – ولا يزال -هو أن عراقاً يحكمه الشيعة من شأنه أن يخلق امتداداً إقليمياً لـ " قوس شيعي" يمتد من غرب باكستان إلى البحر الأبيض المتوسط، مروراً بالنظام العلوي في سوريا الموالي لإيران، وبـ "حزب الله" اللبناني [3]. ولعل هذا ما يخشاه بعض القادة العرب.

وعلى صعيد آخر، فإن سعي إيران لامتلاك قدرات نووية قد زاد من مخاوف هؤلاء القادة العرب، وبالأخص الخليجيين منهم، فهم يعتبرون أن الهدف من هذا المسعى الإيراني هو فرض إيران نفسها كقوة ضاربة في المنطقة وليس بهدف التصدي لإسرائيل. والحقيقة أن هذا المسعى أقلق أطرافاً كثيرة، ومن جملتها الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل على وجه الخصوص.

طوال التسعينيات، دعا مايكل ليدين، وهو أحد المحافظين الجدد الأمريكيين، إلى شن حرب على العراق، تليها حرب أخرى ضد إيران. ولأجل ذلك أسس ما أسماه "مركز إقامة الديمقراطية في إيران" *، الذي يدعو إلى تغيير النظام في هذا البلد. ففي خطاب له

بـ"المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي" في واشنطن، بتاريخ 2003/04/30 بعنوان: "حان الوقت للتركيز على إيران.. فهي أم الإرهاب الحديث"، قال: " لقد انتهى وقت الدبلوماسية، وحان وقت قيام إيران حرة، وسوريا حرة، ولبنان حر" (4). وبعد ذلك بأسبوع، ألقى ليدين محاضرة في معهد "أميركان إنتربرايز"، دعا فيها مرة أخرى إلى توجيه ضربة أمريكية لإيران (5)، لثنيها عن السعي لأن تصبح قوة نووية.

وفي السادس من مايو من عام 2003، إشترك "المعهد التجاري الأمريكي" مع "مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية" و"معهد هودسون"، وهما من المؤيدين لإسرائيل، في عقد مؤتمر حول إيران دام يوماً كاملاً، وطالب الكثير من المشاركين الولايات المتحدة بتغيير النظام الإيراني واستبداله بنظام ديمقراطي(6)، متجاوب مع أمريكا ومع إسرائيل.

أسالت أقلام المحافظين الجدد في أمريكا الكثير من الحبر للدعوة إلى إحداث تغييرات في إيران. فقد كتب وليام كريستول مقالاً في صحيفة ويكلي ستاندرد في 12 مايو من عام 2003، يقول فيه: " كانت معركة تحرير العراق المعركة الكبرى الأولى لمستقبل الشرق الأوسط... لكن المعركة التالية، التي نأمل ألا تكون معركة عسكرية، هي ضد إيران" (7).

يعود عداء المحافظين الجدد لإيران إلى عهد سقوط الشاه وانتصار الثورة الإسلامية. ففي مطلع الثمانينيات، وضع المؤرخ البريطاني الصهيوني برنارد لويس خرائط لتقسيم إيران إلى سبع دويلات (8)، لدفع أي خطر محتمل قد يصدر منها نهائياً. وقد قوبل سعي إيران لدخول النادي النووي بعدم الترحيب من قبل الغرب خاصة، وعلى رأسه الولايات المتحدة. وقد أعلن المحافظون الجدد واللوبي الصهيوني حالة استنفار قصوى، خوفاً على أمن إسرائيل ومستقبلها.

أصبح النظام في إيران، وخاصة في عهد الرئيس بوش الإبن، هدفاً للمحافظين الجدد، وخاصة بسبب دعمه لـ "حزب الله" اللبناني، حيث ربطوا إيران بالإرهاب، واتهموها بإرسال عملاء لتشجيع شيعة العراق على مقاومة الأمريكيين وإقامة دولة إسلامية (9). كما لاحظت إدارة بوش الإبن بأنها زادت كثيراً من قوة إيران بإزالة نظام صدام حسين، بعد أن كان العراق من قبل يمثل القوة الموازنة لها في منطقة الشرق الأوسط.

يرى الكاتب باتريك سيل بأن الحملة على إيران يشوبها الغموض كما بالنسبة للعراق، ويتساءل إن كانت لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط لحماية أمريكا من الإرهاب، أم هي للقضاء على أي تحدٍ إقليمي لإسرائيل؟ ويَعتقد سيل أن الأرجح هو مزيج بين الأمرين، لأن المحافظين الجدد، الذين كانوا متحكمين في السياسة الخارجية الأمريكية، اعتبروا المصالح الأمريكية والإسرائيلية واحدة ولا يمكن التفريق بينهما (10).

كان لمقولة (محور الشر)، التي جاء بها بوش الإبن في خطاب حالة الإتحاد في عام 2002، بالغ الضرر على احتمالات إصلاح العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة وإيران، بعد أن أصبحت إيران تُصَنَّف كجزء من هذا المحور(11). ولعل ذلك ما كان يريده اللوبي الصهيوني، أي الصدام والحرب مع إيران لدرء أخطارها وتحييد أي دور كبير لها في المنطقة.

وبرأي زبيغنيو بريجنسكي، فإن الحرب على إيران هي مدخل لمستنقع جديد أكثر اتساعاً وعمقاً من العراق، إذ أن تلك الحرب سَتُنهي الدور الحالي لأمريكا في العالم، بحيث ستسقط لفترة تتراوح من 20 إلى 30 عاماً، مما سيُفقدها موقعها العالمي(12)، ومن ثم يقضي على طموحاتها الإمبراطورية.

ويقول الكاتب الأمريكي وليم بولك في نفس السياق: "إن سياستنا فيما يتعلق بإيران فاشلة، فنحن لم نستطع حل الأزمة الإيرانية، بالتهديدات، ولا يُرجى حلها على هذا النحو... وفي ظل التهديد بعاصفتنا، سَيَلْتَفُّ

الإيرانيون بعضهم حول بعض، بغض النظر عن مشاعرهم تجاه حكومتهم، ويتجلي هذا في المسألة النووية" [13].

إنتقد هنري كيسنجر، هو الآخر، منهجية المحافظين الجدد، في عهد الرئيس بوش الإبن، والقائمة على التساهل في اللجوء إلى القوة أو الإعتماد عليها كخيار أولي، حيث رأى أن نجاح أي تجربة لحل قضايا الإنتشار النووي تعتمد على قدرة الدبلوماسية على منح ضمانات أمنية للبلاد التي يُطلب منها التخلي عن أسلحتها النووية، كما تحمس لخيار اللعب على أوتار الداخل الإيراني بدلاً من العمل العسكري[14]، الذي سيعقد الأمور أكثر فأكثر.

وفي مقابلة مع الصحفية لالي ويموث، من "نيوزويك"، قال محمد البرادعي، المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية، في رده على سؤال حول إيران: "لا يمكن معاملة إيران وكأنها حمار، أي بالجزرة والعصا. هذه منافسة على القوة في الشرق الأوسط. لقد سمعوا [الإيرانيون] من الإدارة السابقة [إدارة بوش الإبن] كلاماً عن تخصيص أموال لتغيير النظام وعن (محور الشر)، ولو كنتِ مكانهم لَفَعَلْتِ كل ما بوسعِكِ لتحمي نفسَكِ"[15]، مخاطباً الصَّحَفِيَّة.

وكان للمؤرخ العسكري الإسرائيلي، مارتن فان كريفلد Martin Van Creveld نفس وجهة النظر، حيث قال: " لقد شهد العالم كيف هاجمت الولايات المتحدة العراق، وكما اتضح لاحقاً، من غير سبب على الإطلاق. وفي حال ثبت أن الإيرانيين لم يحاولوا صنع أسلحة نووية، يكونون أناساً مخبولين" [16]، وهو ما تنبه له أيضاً رئيس كوريا الشمالية السابق الراحل كيم جونغ إيل حينما أدرك بأن بلاده قد تلقى نفس مصير العراق إن هي تخلت عن برنامجها النووي.

وواقع الحال أن سياسة الولايات المتحدة في مجال الأسلحة النووية من أفضل الأمثلة على إزدواجية المعايير، "فأسلحة الدمار الشامل لدى إسرائيل" هي جُملة يَحْرُمُ النطق بها من أي مسؤول أمريكي – كما يقول نعوم تشومسكي – لأن تلك الجملة تثير السؤال: " لماذا كل هذه المساعدة لإسرائيل إذا كان تشريع المساعدة الخارجية منذ عام 1977 يمنعها عن أي دولة تطور سلاحها النووي؟" [17]. وبناءً على ذلك، فإن هناك من يَعتبر الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة للحد من انتشار الأسلحة النووية مظهراً من مظاهر النفاق، في ظل الكيل بمكيالين في تعاملها مع إسرائيل ومع الدول الأخرى.

وإذا كانت إسرائيل ترتعد خوفاً من التهديد الإيراني، فإن لديها ترسانة كَدَّست فيها ما يُقَدَّر بـ 250 سلاح نووي، وترفض السماح للوكالة الدولية للطاقة الذرية بالقيام بأي تفتيش، كما ترفض الإنضمام إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية [18]. وهنا تسلك إسرائيل نفس سياسة "ازدواجية المعايير" التي تسلكها أمريكا تجاه الآخرين، فهي تُحِلُّ لنفسها امتلاك السلاح النووي، بينما تسعى لتحريم امتلاكه على الآخرين. فهي تسعى دوماً إلى إخافة أعدائها من العرب والمسلمين، بينما ترفض أن يجرؤ أحد منهم على إخافتها بأي سلاح، حتى وإن كان تقليدياً.

يقول سكوت ريتر Scott Ritter، كبير مفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة في العراق في الفترة الواقعة بين 1991 و1998، بأن إسرائيل واللوبي الإسرائيلي يقودان أمريكا نحو المسار المؤدي إلى الدخول في حرب مع إيران [19]. وترى بعض السفارات المعتمدة في واشنطن بأن "الأيباك" هي المسؤولة عن إذكاء نار العداء تجاه إيران في إدارة بوش الإبن [20]، من خلال الحملة الشرسة التي تخوضها ضد إيران على مختلف الأصعدة.

ويقول ريتر أيضاً بأنه "لا يوجد شخص في العالم يريد هذه المواجهة باستثناء إسرائيل. وينبغي ألا يساور أي شخص شك في أنه في حال نشبت حرب بين أمريكا وإيران، فستكون حرباً صُنِعت في إسرائيل وليس في أي مكان آخر" [21]، وسيدفع فاتورتها – بطبيعة

الحال - دافع الضرائب الأمريكي والجنود الأمريكيون، كما حصل في العراق، وفي غيره.

2-تركيا:

بالنظر إلى موقعها المطل على أوروبا وروسيا والشرق الأوسط، فإن تركيا تُشَبَّه بـ "جسر" يربط بين الشرق والغرب [22]. فهذه الدولة عرفت عبر تاريخها العريق علاقات متنوعة بحضارات مختلفة شرقية وغربية. وقد اشتد عودها وصارت إمبراطورية عظيمة وحكمت العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العثمانية، وامتد نفوذها إلى أصقاع كثيرة في العالم.

كانت الإمبراطورية العثمانية تربطها علاقات متينة ومتميزة بالعرب، ولكن بعد سقوط الخلافة تغيرت تلك العلاقة كثيراً ولم تعد كسالف عهدها، وانتقلت في بعض الأحيان من النقيض إلى النقيض.

تميزت هذه التحولات بالكثير من التوتر في بعض الأحيان إلى حد القطيعة، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث راحت تركيا الجمهورية تتبنى أطروحات مخالفة تماماً لما كان سائداً أيام الخلافة العثمانية، حيث انتهج مؤسس الجمهورية مصطفى كمال أتاترك المبادئ الأوروبية لإدارة الدولة ونشر الثقافة العلمانية على نطاق واسع، ورافق ذلك هجوم عنيف على الثقافة الإسلامية والعربية على وجه الخصوص، فكانت تركيا أول دولة إسلامية تفصل الدين عن الدولة، الأمر الذي أدى إلى إبتعادها أكثر عن العالم العربي [23] وأيضاً الإسلامي. فقد تخلت عن كتابة لغتها بالحروف العربية التي استبدلتها بالحروف اللاتينية، وأغلقت المدارس القرآنية، وحاربت كل ما يمت إلى الإسلام بصلة.

كانت تركيا أول دولة إسلامية تعترف بإسرائيل في عام 1949، وقامت بتمتين علاقاتها معها، إلى حد إقامة حلف عسكري مخيف للأمن العربي، كما اعترضت على استقلال الجزائر [24]، التي اعتبرتها قطعة فرنسية.

كان التوجه الأول لتركيا نحو الغرب، حيث شاركت في المبادرات والمؤسسات الأوروبية - الأطلسية (مخطط مارشال، حلف شمالي الأطلسي، مجلس أوروبا). وبهذه الطريقة، إستطاعت أن تحصل على وضع "دولة مشاركة" في عام 1963 في إطار المجموعة الأوروبية الإقتصادية [25]، وكانت تلك خطوة أولى في نظرها للإنضمام إلى هذا التجمع مستقبلاً، ولكن طال الإنتظار ولم يتجسد ذلك الحلم.

شهدت أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين تغييراً جذرياً في التوجه الإستراتيجي لتركيا، وكان عام 2002 محور التغيير الكامل في العلاقات التركية - العربية. فبجهود سعودية وخليجية، أصبح الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي من نصيب تركيا، كما تم انتخاب رئيس الجمهورية التركية رئيساً للجنة الدائمة للتعاون الإقتصادي والتجاري في منظمة الدول الإسلامية، وبعد ذلك أصبحت تركيا عضواً مراقباً في جامعة الدول العربية. وفي المقابل، لعبت تركيا دوراً هاماً في تقريب العلاقات الخليجية مع حلف الناتو في مؤتمر حلف الأطلسي الذي احتضنته تركيا في عام 2004، كما زادت من تقاربها مع العالم العربي من خلال مناهضتها للعدوان الإسرائيلي على لبنان في عام 2006 وعلى غزة في عام 2009، وسجلت حضوراً مشرفاً لها في فك الحصار الإسرائيلي على غزة [26].

وقد كانت انتفاضة طيب رجب أردوغان على شمعون بيريز في منتدى دايفوس في شهر يناير من عام 2009، احتجاجاً على التدخل العسكري الإسرائيلي، في غزة ذات صدى إيجابي في كل أنحاء العالم الإسلامي الذي بارك تلك الخطوة، التي اعتُبرت كمؤشر على رغبة تركيا الملحة في العودة إلى محيطها الطبيعي وعلاقاتها التاريخية بالعالم العربي.

وبهذه المواقف الجريئة والخطوات الكبيرة، تكون تركيا قد فَضَّلت التقارب مع العالم الإسلامي والعربي، وتم اعتبار ذلك على حساب تحالفها مع إسرائيل، التي

يربطها بها اتفاق استراتيجي يعود إلى عام 1990 [27]، مما أدى وقتها إلى تدهور العلاقات بين الطرفين.

والحقيقة أن المصلحة فرضت على تركيا الرجوع إلى العالم العربي؛ ويقول سيرهات أركمين، الباحث في معهد "أسام" التركي للأبحاث الاستراتيجية، بأنه "إذا ارادت تركيا أن تساعد في حل المشاكل في المنطقة، خاصة الوضع في شمال العراق، فإن الأمر يحتاج الى اتفاق جديد مع الدول العربية" [28]. فقيام دولة للأكراك في شمال العراق سيخلق لتركيا مشاكل جمة. ولذلك، فهي مجبرة على التعاون مع الدول العربية والتنسيق معها لتجنب حصول مثل هذا السيناريو.

تتبنى تركيا منذ بضع سنوات سياسة دبلوماسية واقتصادية طموحة في منطقة الشرق الأوسط، وأيضاً في القوقاز وروسيا، وخاصة منذ مجيء حكومة حزب العدالة والتنمية. فعلاوة على الإهتمام بملفات حساسة، فإنها ترغب في جعل جيرانها الشرقيين شركاء اقتصاديين وتجاريين مفضلين[29].

فبعد التعديل الحكومي الذي أعقب الإنتخابات المحلية لعام 2009، جاء على رأس الدبلوماسية التركية السيد أحمد داود أوغلو، الذي سرَّع من وتيرة حل الخلافات القائمة مع أغلب الجيران، من أجل تجاوز الأخطار التي تهدد أمن المنطقة. وقد تُرجمت هذه الإستراتيجية المبنية على حسن الجوار بالتحسن المذهل للعلاقات مع سوريا، وإقامة روابط رسمية مع حكومة المنطقة الكردية قي شمال العراق، والتوقيع على بروتوكولين لإقامة علاقات دبلوماسية مع أرمينيا، وتعميق التعاون الإقتصادي والطاقوي مع روسيا. ومن جهة أخرى، وبعد أن أطَّرت محادثات مباشرة بين دمشق وتل أبيب، كانت أنقرة ترغب في أن تكون وسيطاً لحل الملف النووي الإيراني، وكذلك وسيطاً لحل الصراع الدائر بين مختلف الفصائل الفلسطينية [30].

ولكن رغم ذلك التقارب مع إيران، فإن الملف النووي الإيران ظل يؤرق تركيا. فبرأي المحللين السياسيين، لن تكون تركيا سعيدة وهي ترى إيران في طريقها إلى امتلاك السلاح النووي. فالمسؤولون الأتراك أعلنوا موقفهم في هذا الخصوص بوضوح وهو أن امتلاك إيران القنبلة النووية يشكل تهديداً على أمنهم وعلى أمن المنطقة [31].

يقول الباحث التركي سيرهات أركمين: "لدينا اليوم تعاون استخباراتي مع طهران. لكن في التسعينيات كان الأمر مختلفاً، لأن طهران كانت تساند حزب العمال الكردستاني ضد تركيا. الآن لدينا مع طهران تعاون مشترك، لكن في المستقبل إذا أصبحت إيران أقوى دولة في المنطقة، فإن مسار العلاقات بين إيران وتركيا سيتغير بسهولة. فوجود جار إقليمي قوي جداً يساوي مشكلة بالنسبة للأتراك.. إيران قوية تعني جاراً جيداً، لكن إيران قوية جداً تعني مشكلة" [32].

ويؤكد المحللون السياسيون بأن الصراع بين تركيا وإيران قائم ولم ينته بعد، وقد تجلى بعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق وتصاعد حدة التوترات الطائفية في هذا البلد، حيث طفت على السطح مصالح تركيا وإيران المتضاربة؛ فبينما تدعم إيران الجانب الشيعي، فإن تركيا تدعم السُّنة [33]. هذا فضلاً عن اختلافات موقفي البلدين إزاء الملف السوري. وهكذا، فإن استقرار منطقة الشرق الأوسط وتفادي الصدام المكشوف بين السُّنة والشيعة يتوقفان على التفاعل الحاصل بين البلدين إن إيجاباً أو سلباً.

كما يؤكد الخبراء السياسيون والإعلاميون بأن الصراع على النفوذ في منطقة الشرق الأوسط لم يقتصر على اللعبة السياسية بين البلدين، بل تعداه إلى مجال الفن والدراما، لينشر كل منهما ثقافته ومعتقداته في البلاد العربية على وجه الخصوص. فالدراما الإيرانية تلعب على الجانب العقائدي عن طريق المسلسلات والأفلام الدينية التي تجسد الأنبياء وغيرهم، أما المسلسلات التركية فتلعب على الوتر العاطفي لدى الشباب [34].

أما علاقات تركيا مع العالم العربي فقد عرفت ازدهاراً كبيراً. فقد صارت تركيا على رأس قائمة المستثمرين الأجانب في الكثير من البلدان المجاورة بدءاً بسوريا، حيث كان يمثل رأس مال الإستثمار التركي أزيد من مليار دولار، ولدى تركيا أزيد من ألف مؤسسة حاضرة في كردستان العراق. كما أصبحت عدة دول أسواقاً هامة للسلع التركية؛ فقد انتقلت صادرات تركيا نحو سوريا وإيران على التوالي من 232 و157 مليون دولار في عام 1999 إلى 1,3 و2,1 مليار دولار في 2008، وانتقلت الصادرات التركية نحو الإمارات العربية من 240 مليون دولار في 1998 إلى 8 ملايير دولار في 2008، وصادراتها نحو ليبيا من 67 مليون دولار في 2001 إلى 1,1 مليار دولار في 2008. وللإشارة، فقد عرفت صادرات تركيا الإجمالية ارتفاعاً مذهلاً منذ 1980، إذ قفزت من 2,2 مليار دولار في 1979 إلى 12 مليار دولار في 1990، ثم من 28 مليار دولار في عام 2000 إلى 132 مليار دولار في عام 2008 [35].

كان التطور الأكبر للعلاقات التركية بدول الخليج العربي مع السعودية في عام 2006، بعد قيام الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز بزيارة إلى تركيا. ففي غضون عامين فقط من هذه الزيارة، إرتفع حجم التجارة بين البلدين من 3,3 مليار دولار في عام 2006 إلى 5,5 مليار دولار في عام 2008. وقد توطدت العلاقات التركية – السعودية بزيارة الرئيس التركي عبد الله غول إلى السعودية في عام 2009 [36]. ويبدو بأن العلاقات التركية بالعالم العربي ستزداد متانة بعد أن أصبح طيب رجب أردغان رئيساً لتركيا.

ووفقاً لإحصائيات الحكومة التركية، نمت التجارة البينية بين تركيا ومجلس التعاون الخليجي من 17 مليار دولار في عام 1998 إلى 166 مليار دولار في عام 2008 [37]. ولا شك أن الصادرات التركية حازت على حصة الأسد في هذه التعاملات. ويرى بهجت قراني، الأستاذ في الجامعة الأميركية بالقاهرة، بأنه، بحلول العام 2050، سيكون لتركيا جيش من الطراز الأول، ونفوذ أكبر من نفوذ ألمانيا، وأنها ستحلّ الدولةَ التاسعة من بين الدول الأقوى في العالم [38]، وهذا ما يعني بأنه ستكون لتركيا مكانة مرموقة في منطقة الشرق الأوسط.

يمكن تفسير الميل التركي إلى التعامل مع الدول العربية والإسلامية بإدراك تركيا بأن مساعيها للإنضمام إلى الإتحاد الأوروبي لن تلقى القبول والترحاب – على الأقل على المدى المنظور - بسبب رفض فرنسا وألمانيا هذا الإنضمام. فتركيا "المسلمة" غير مرحب بها في البيت الأوروبي "المسيحي". ولذلك، يتم اختلاق مشاكل لها في كل مرة لإبعادها.

لقد التفت عدة دول أوروبية حول فكرة انضمام تركيا إلى الإتحاد الأوروبي، وكان ذلك الإلتفاف دعماً للموقف الفرنسي والألماني، حيث اقترحت تلك الدول عقد اتفاقية شراكة مع تركيا بدلاً من حصولها على العضوية الكاملة في الإتحاد [39]. وقد كان واضحاً أن الأوروبيين كانوا ولا يزالون ينظرون إلى تركيا كدولة ذات هوية شرقية بأبعاد إسلامية، ولا يمكن تصورها جزءاً ضمن الإطار الأوروبي حتى وإن كان لها جزء ترابي في أوروبا. وهكذا، لا يزال ماضي الخلافة العثمانية جاثماً على عقول الأوروبيين.

ورغم العلاقات المتينة التي تربط تركيا بالولايات المتحدة، فإن هذه الأخيرة تعاملت معها - مثل الإتحاد الأوروبي - بمعايير مزدوجة، رغم أنها مارست ضغوطاً على الإتحاد الأوروبي لبدء مفاوضات العضوية مع أنقرة [40].

لقد سبق للجنةٍ بمجلس النواب الأمريكي أن اتهمت تركيا بارتكاب إبادة جماعية في حق الأرمن في عام 1915 إبان عهد الخلافة العثمانية [41]. ويعد هذا الموقف دعماً لمواقف برلمانات أوروبية وَجهت نفس التهمة لتركيا لعرقلة انضمامها إلى البيت الأوروبي. وقد كان الموقف الفرنسي شرساً بهذا الخصوص، حيث ردت

تركيا على فرنسا بأنها هي التي ارتكبت جرائم إبادة في حق الشعب الجزائري.

ولكن رغم ذلك، ظلت تركيا مصرة على دورها ومكانتها الإستراتيجيين في كل من آسيا وأوروبا؛ فقد قال داود أوغلو: "إن تركيا يمكنها أن تكون أوروبية في أوروبا، وشرقية في الشرق، لأنها كلتاهما معاً"[42]، ما يعني أن تركيا ستظل همزة وصل بين أوروبا وآسيا وبين الشرق والغرب سواء انضمت إلى الإتحاد الأوروبي أم لم تنضم، وستحظى بمكانة لائقة في الجهتين معاً.

3-السعـــودية:

تُعتبر المملكة العربية السعودية قوة إقليمية في منطقة الشرق الأوسط، فهي دولة نفطية كبيرة وذات علاقات قوية بالغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، التي تربطها بها علاقات تاريخية متينة. وتُعد السعودية رأس الحربة في مجلس التعاون الخليجي، إذ هي المسيطرة عليه بحكم قدراتها الإقتصادية والبشرية وشساعتها الجغرافية مقارنة بدول المجلس الأخرى. وعلى صعيد آخر، فإنها هي قلب العالم الإسلامي بحكم وجود الحرمين الشريفين المكي والمدني على ترابها، ما أكسبها مكانة رفيعة في العالم الإسلامي.

لقد سعت السعودية إلى ترجمة هذه العوامل إلى قوة إقليمية لا يستهان بها في المنطقة، ففضلاً عن علاقاتها بالعالمين العربي والإسلامي، فإنها نسجت علاقات قوية مع الغرب ومع الشرق كذلك، وكانت صاحبة قرار فعال في سوق النفط العالمي من خلال عضويتها في منظمة الأوبك.

ورغم العلاقات المتميزة التي تربط السعودية بالولايات المتحدة، فإنها عرفت في عام 1973 تأزماً كبيراً حينما شاركت السعودية في مبادرة الأوبك وأعلنت على الولايات المتحدة مقاطعة نفطية ورفع سعر النفط أمام الدول الغربية بنسبة 70٪، كرد على الدعم الأمريكي لإسرائيل أثناء حرب 1973[43]. ولكن رغم ذلك، فإن العلاقات عادت إلى مجاريها، وظلت السعودية شريكاً اقتصادياً لا يستهان به بالنسبة لأمريكا، ولكنها لم تَرقَ هي أو غيرها في وجدان الشعب الأمريكي والحكومات الأمريكية المتعاقبة إلى المكانة التي تحتلها إسرائيل، حيث إن تلك المقاطعة النفطية السعودية والعربية لم تغير من الواقع شيئاً، ذلك أن الدعم الأمريكي لإسرائيل ظل مستمراً ولم يتوقف يوماً.

ظلت السعودية مواظبة على لعب دور إقليمي في الشرق الأوسط، وكان حضورها قوياً في كل المنابر المتعلقة بالصراع العربي - الإسرائيلي، وبالقضايا العربية الداخلية والبينية، كما سعت إلى تزعم القاطرة العربية. ولكن سياسات إيران أرادت أن تزعزع مكانة السعودية، بل وحتى استقرارها نفسه.

لقد تصرفت السعودية وإيران كمتنافسين حقيقيين عل بسط نفوذهما في منطقة الشرق الأوسط، لا سيما في منطقة الخليج منذ الثورة الإسلامية الإيرانية في عام 1979 والحرب العراقية - الإيرانية (1980 -1988). ورغم أن الدولتين إسلاميتان، فإن الفروقات القائمة في سياساتهما تكاد تكون مأساوية، ذلك أن السعودية تسعى إلى الحفاظ على الأمر الواقع في المنطقة كقوة إقليمية، بينما تسعى إيران إلى إحداث تغيير ثوري على امتداد الخليج ومنطقة الشرق الأوسط[44]. وعلى صعيد آخر، تتنافس الدولتان على تزعم العالم الإسلامي، ولو أن السعودية هي ذات الحظ الأكبر في هذا المجال، لكونها دولة سنية وغالبية المسلمين في العالم سنة، كما أنها أرض الحرمين الشريفين.

لقد سعت إيران إلى توسيع قوتها في منطقة الخليج، وغالباً ما حاولت السعودية ودول خليجية أخرى احتواء مطلب إيران بالهيمنة. وقد تمكنت السعودية بشكل ثابت من الحفاظ على مستوى أعلى من إيران في مجال النفوذ والسلطة السياسية لدى دول إقليمية، وعلى نطاق واسع[45].

منذ قيام الثورة الإيرانية، أصبح الحجاج الإيرانيون يشكلون مصدر إزعاج للسلطات السعودية بسبب احتكاكهم بالشرطة السعودية نتيجة بعض التصرفات الناجمة عنهم، والتي تعتبرها الرياض إفساداً لموسم الحج ونشراً للفوضى على أراضي المملكة لزعزعة استقرارها.

ومن جهة أخرى، يقلق السعودية أن ترى يد إيران وراء حركة التمرد الحوثية في اليمن. فالسلطات السعودية تنظر إلى الحوثيين كأداة بيد إيران التي ترغب في توسيع نفوذها في المنطقة، إذ تعتبر هذا النزاع في اليمن حرباً بين أقلية شيعية وحكومة ذات غالبية سنية [46]. ويأتي خوف السعودية من انتقال عدوى مشهد الحوثيين إلى الشيعة السعوديين، والذين قد يخلقون متاعب للنظام السعودي في حال تحركهم.

وبشكل عام، تَعتبر السعودية التدخل الإيراني في العراق، وفي سوريا، وفي لبنان، وفي اليمن، وفي فلسطين، وفي البحرين، وفي غير ذلك من المناطق، محاولة إيرانية للسيطرة على المنطقة، وإبعاد السعودية عنها وتقزيم دورها حتى داخل البيت العربي نفسه. ولعل أحداث 11 سبتمبر من عام 2001 قد خدمت إيران كثيراً، حيث مكنتها بعد الغزو الأمريكي للعراق من تقوية نفوذها في العراق وفي دول عربية أخرى. كما أن تلك الأحداث خلقت متاعب للسعودية التي تم اتهامها بصناعة الإرهاب وتفريخ الإرهابيين، الأمر الذي جعلها تشتغل على تبرئة نفسها من التهمة بدلاً من العمل على الحصول على دور لائق لها في منطقة الشرق الأوسط، الأمر الذي أفسح المجال لإيران للعمل بحرية أكبر في المنطقة.

كانت تبعات هجمات 11 سبتمبر عسيرة جداً على السعودية، التي تربطها علاقات قديمة ووثيقة بالولايات المتحدة. فانتماء خمسة عشر شخصاً، من بين الأشخاص التسعة عشر المشاركين في تلك الهجمات، إلى السعودية، جعل هذا البلد في موقف صعب. فقد بدأت آلة إدارة بوش الإبن تشتغل لتسويق فكرة خطيرة مؤداها أن "السعودية بيئة طبيعية وثقافية منتجة للإرهاب" [47]. ولو أن تلك الحملة كانت سابقة على أحداث 11 سبتمبر بعدة أعوام.

بتاريخ 10 يوليو من عام 2002، طلب المحافظ الجديد ريتشارد بيرل Richard Perle من لوران مورافيك Laurent Muraweic، وهو محلل بمؤسسة "راند كوربوريشن للأبحاث" (Rand Corporation) بأن يتوجه بمداخلة أمام "مجلس سياسات الدفاع" (وهو هيئة استشارية تابعة للبنتاغون)، على خلفية أحداث 11 سبتمبر. وكانت الكلمة التي ألقاها صدمة حقيقية للنظام السعودي. فقد وصف السعودية بأنها "مصدر الشر، ومحركه الأساسي، وأخطر الخصوم" [48]. كما قال بأن "السعوديين يَنْشُطون على مستوى كل حلقات السلسلة الإرهابية، من التخطيط إلى التمويل، من المناضل إلى الإيديولوجي وإلى الزعيم..." [49]، متهماً إياها بدعم أعداء الولايات المتحدة، وبالتهجم على حلفائها، في إشارة منه إلى إسرائيل.

وبقيام ريتشارد بيرل، رئيس مكتب سياسات الدفاع، بدعوة مورافيك لإثارة موضوع السعودية وعلاقاتها بأحداث 11 سبتمبر، يكون قد حاول "وضع السعودية في موقع دفاعي حرج"، على حد تعبير جيفري كمب، الباحث والخبير في شؤون منطقة الخليج [50]، وهو مبتغى إدارة بوش الإبن ككل. فبتسريبه أقوال لوران مورافيك للصحافة، إستطاع ريتشارد بيرل أن يُعَبِّر، وبصوت عال، عما لم يكن بمقدور الإدارة الأمريكية الإفصاح عنه بشكل رسمي [51]. ولذلك، لقيت كلمته استحسان الإدارة الأمريكية غير المعلن، والمفهوم من الصمت الذي التزمته.

وفي خضم حملة المحافظين الجدد على السعودية، ظهر ديفيد وُرمسر David Wurmser، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في مؤسسة "أميركان إنتربرايز"، ليزيد الحملة التهاباً. ففي مقال له، ذكر بأن ابن لادن لم يشن هجمات داخل السعودية لكونه مقرباً من العائلة المالكة السعودية، واتهم الحكومة السعودية بأنها كانت تقدم دعماً مالياً غير محدود

لحكومة طالبان، التي تستضيف ابن لادن وتنظيم القاعدة [52]. ولتشديد الخناق على السعودية أكثر فأكثر، اتُّهِمَت العائلة المالكة بالوقوف سياسياً ومالياً وراء تفجيرات 11 سبتمبر.

إن عداء اللوبي الصهيوني للسعودية ليس بالأمر الجديد، ففي بداية الثمانينيات من القرن الماضي، على سبيل المثال، تَحَوَّل الكونغرس الأمريكي إلى حلبة صراعٍ ضارٍ عندما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد بيع طائرات "أواكس" للسعودية، فقد وقفت الأيباك بشدة ضد تلك الصفقة، وكان مصير أعضاء الكونغرس الموافقين عليها التقاعد [53]، حيث عملت الأيباك على تهميشهم وتحطيمهم مهنياً واجتماعياً أيضاً، ولعب المحافظون الجدد الأمريكيون دوراً كبيراً في تلك الحملة لمؤازرتها، واستعملوا كل وسائل الترغيب والترهيب للحيلولة دون ظهور مواقف مشابهة من أي عضو في الكونغرس في المستقبل قد تعارض رغبة اللوبي الصهيوني وسياساته. ولكن رغم كل تلك الضغوط، كانت بعض الأصوات في هذه المؤسسة التشريعية تشذ عن منطق الخضوع والخنوع، محتكمةً إلى ضمائرها، لتجهر بالحقيقة "الممنوعة" حيال بعض القضايا العربية والإسلامية، بالرغم من المصير القاتم الذي ينتظرها.

لقد وقفت إسرائيل بقوة للحيلولة دون حصول السعودية على تلك الطائرات، كما سبق لها أن عبرت عن رفضها الصارخ لكل صفقات التسليح التي تبرمها الولايات المتحدة مع السعودية أو مع غيرها من الدول العربية، وخاصة تلك الصفقات المتعلقة بالأسلحة المتطورة.

لقد أرادت إسرائيل أن تجرد السعودية من أي دور قيادي لها في المنطقة، ولا تفوت فرصة إلا ونالت من حكامها، الذين تتهمهم بدعم الإرهاب العالمي. لكن رغم كل تلك الحملات الشرسة، فإن السعودية تبقى دولة محورية في المنطقة وحتى خارجها.

4-إســــرائيل:

سعت إسرائيل منذ نشأتها إلى فرض وجودها كقوة بدون منازع في منطقة الشرق الأوسط، معتمدة في ذلك على الدعم الأمريكي والغربي لها. ولمسخ المنطقة من طابعها العربي والإسلامي، فقد اجتهد القادة الإسرائيليون واللوبي الصهيوني وحلفاؤهما في إيجاد صيغ ومشاريع من شأنها أن تحقق ذلك المبتغى، كمشروع الشرق الأوسط الجديد ومشروع الشرق الأوسط الكبير. وقد كانت الحرب الأمريكية على العراق في عام 2003 الصورة الأوضح لتجسيد هذه المشاريع.

أوردت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بأن فكرة الحرب على العراق دَعَّمها منذ مدة 25 مفكراً أمريكياً من اليهود المتصهينين، الذين دفعوا بوش الإبن إلى تغيير التاريخ بحرب كبرى من أجل إقامة شرق أوسط جديد، وبَرَّرُوا دعوتهم تلك بحجة غياب الديمقراطية والحريات في هذه المنطقة [54].

وقد اعترفت صحيفة "وُول ستريت جورنال" في مقال لها بحقيقة فكرة "تغيير الأنظمة" التي تدور في أذهان المحافظين الجدد في زمن إدارة الرئيس بوش الإبن، وكان عنوان المقال شديد الوضوح: "حلم الرئيس ليس تغيير نظام وحسب بل تغيير المنطقة". وجاء في المقال بأن "إيجاد منطقة ديمقراطية موالية للولايات المتحدة هو هدف تمتد جذوره إلى إسرائيل والمحافظين الجدد" [55]، ما يؤكد مدى ترابط هذين الطرفين واشتراكهما في نفس الأهداف.

كانت الشكوك بوجود أيادٍ إسرائيلية، أو على الأقل مصالح لها في الحرب على العراق مستشرية لدى الجميع، في داخل أمريكا كما في خارجها. فقد وجه الصحفي تيم راسيت سؤالاً مباشراً في حصة تلفزيونية إلى المحافظ الجديد ريتشارد بيرل: "هل يمكنك أن تؤكد للمشاهدين الأمريكيين... أننا في هذا الموقف ضد صدام حسين والإطاحة به من أجل المصالح الأمريكية ؟ وماهي حلقة الصلة بالنسبة لإسرائيل؟"،

ولكن بيرل نفى صلة إسرائيل بالموضوع، وراح يتحدث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق وارتباطه بالإرهاب[56]، دون أن يقدم أدلة على ما يقول.

عَلَّق الصحفي والمحافظ الجديد، تشارلز كورثهامر، في مقال نشرته مجلة " تايم Time" في 17 فبراير من عام 2003 على الحرب ضد العراق، بشكل صريح وواضح، بأنها ليست فقط لنزع أسلحة صدام، بل هي لإعادة تشكيل المنطقة، مُبَيِّناً أن ما تحتاجه الولايات المتحدة في العالم العربي ليس استراتيجية خروج، بل استراتيجية دخول، والعراق هو البوابة [57]. وكان بول وُلفوفيتز، نائب وزير الدفاع الأمريكي، الداعي إلى تغيير النظام في العراق، يقول هو الآخر بأن "الطريق إلى السلام في الشرق الأوسط يمر عبر بغداد" [58]، ما يعني -برأيه- أن الحرب على العراق ستؤدي إلى إرباك حركات المقاومة الفلسطينية، مثل حركة "الجهاد الإسلامي" وحركة "حماس"، بالإضافة إلى "حزب الله" في لبنان. كما ستَمنح هذه الحرب الضوء الأخضر لإسرائيل للتصدي لهذه الحركات، وقمع الفلسطينيين تحت غطاء "مكافحة الإرهاب"، والإستمرار في بناء المستوطنات.

كانت كل الدلائل تكشف عن أمنية إسرائيل في أن تشن الولايات المتحدة هجوماً على العراق كخطوة أولى تتبعها خطوات أخرى تستهدف الدول المعادية لإسرائيل. ففي فبراير من عام 2003، نشرت صحيفة "هاآرتز" الإسرائيلية أن رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون، كان يحث الولايات المتحدة على التحرك تجاه إيران وليبيا وسوريا بعد افتراض نجاح الولايات المتحدة في تدمير العراق[59]. كما صرح وزير الدفاع الإسرائيلي وقتذاك، شاؤول موفاز، في لقاء جمعه بوفد رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية: "إن لنا مصلحة كبيرة في إعادة تشكيل الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب [على العراق]. إن إسرائيل تَعتبر إيران وسوريا خطراً قائماً، وتتمنى أنه بعد التخلص من صدام حسين أن تتوالى أحجار الدومينو بالسقوط واحداً تلو الآخر" [60].

عملت إسرائيل جاهدة، وبدعم من اللوبي الصهيوني، والمحافظين الجدد، والمسيحيين الصهيونيين، والقوميين المتطرفين، وجماعات المصالح في الولايات المتحدة، من أجل الدفع قدماً باتجاه إعلان الحرب على العراق. غير أنه تم استبعاد دورها في غزو العراق عن المناقشات العلنية العامة، كمحاولة لإظهارها بأنها بريئة من تلك الحرب، ولصرف الحقيقة عن عيون الشعب الأمريكي على وجه الخصوص.

وقد وَصَف الصحفي مايكل كينزلي Michael Kinsley هذا الصمت بقوله: " كان انعدام المناقشة العلنية العامة حول دور إسرائيل هو الفيل الموجود في الغرفة، كما يقول المثل.. فالجميع يراه، ولكن لا أحد يذكره" [61]، خوفاً من انتقام اللوبي الصهيوني كما هو واضح.

كانت الحرب على العراق مثالاً ساطعاً على عزم المحافظين الجدد على تفكيك العراق إلى ثلاث دويلات تقوم على الإثنيات والولاءات القبلية والدينية، بحيث تكون عاجزة عن مواجهة التوسع الإسرائيلي، ولا سيما في شمال العراق [62]. وقد وضع برنارد لويس خرائط ومخططات في مطلع الثمانينيات، من بينها مخطط لتقسيم العراق إلى ثلاث دويلات: دولة شيعية، ودولة سنية، ودولة كردية [63]، مع خلق نعرات فيما بينها للحيلولة دون توحدها مستقبلاً.

إستغلت إسرائيل الورقة الكردية، فأقامت منذ عام 1970 علاقات وثيقة مع أكراد شمال العراق، ودربت مليشيات منهم، وتجاوزت تلك العلاقات الجانب الإقتصادي للوصول إلى أبعاد سياسية وجيوستراتيجية [64]، تصب كلها في دعم الأكراد في الإنفصال وإقامة دولة لهم، وكان الهدف الآخر من وراء ذلك خلق مشاكل واضطرابات في كل من تركيا وإيران وسوريا، بحيث ستشهد هذه الدول مطالب انفصالية للأكراد الموجودين فيها.

يرى الباحث التركي أركمين أنه إذا تكونت دولة كردية في شمال العراق، فإن هذه الدولة ستكون حتماً قريبة من اسرائيل، حيث إن إسرائيل – كما يضيف - سيكون لها حليف جديد في المنطقة، وهذا الحليف الجديد يستطيع أن يؤثر بسبب موقعه على التطورات في تركيا وإيران وسوريا. وإذا قامت حرب بين إيران وأمريكا، فإن إسرائيل، بسبب تلك الدولة الكردية شمال العراق، ستكون في وضع استراتيجي أفضل فيما يتعلق بأي احتمال للتصعيد مع إيران [65].

ولذلك، إرتبط معيار تقييم الحرب على العراق، بالنسبة للمحافظين الجدد، بما تحققه إسرائيل من مكاسب توسعية في الشرق الأوسط أكثر منه بأهداف القوات المسلحة الأمريكية ومكانتها [66]. ولا عجب إذاً، أن يُعَيَّن الجنرال السابق، جاي غارنر، حاكماً على العراق بعد احتلاله. فالرجل أرسى علاقات حميمة مع القوات الإسرائيلية المسلحة ومؤيديها الأمريكيين، فضلاً عن كونه عضواً في "المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي" [67]، وهو ما يؤكد بأن الرجل سيحرص على تحقيق المصالح الإسرائيلية في العراق، بل وعلى محاولة تثبيت الوجود الإسرائيلي في هذا البلد الذي دمرته الولايات المتحدة من جميع النواحي.

كانت مسألة حصول إسرائيل على النفط مؤرقة جداً لها بسبب عجزها عن شرائه من البلدان المجاورة. ولكن مع وصول إدارة بوش الإبن إلى سدة الحكم، ومع وجود المحافظين الجدد ضمن طاقمها، ودفعهم لخوض الحرب على العراق، كان أمل حصول إسرائيل على نفط العراق قائماً، وخاصة بعد إقامة نظام موال لأمريكا بعد إسقاط صدام حسين.

لقد سارعت إسرائيل لتفحص هذا الموضوع، حيث طالب وزيرها للبنى التحتية وقتذاك، جوزف بارتسكي، بوضع تقييم لحالة أنبوب النفط القديم الممتد من الموصل إلى حيفا *، وكان يأمل في تجديد عملية تدفق النفط العراقي في حالة قيام نظام غير معادٍ لإسرائيل في العراق في مرحلة ما بعد الحرب. واعتبر بارتسكي أن من شأن أنبوب النفط هذا أن يخفض تكلفة فاتورة الطاقة بنسبة 25 بالمائة، بما أن إسرائيل تعتمد بشكل كبير على الواردات الباهظة الكلفة من روسيا [68]. وكان ذلك قي نظر إسرائيل خطوة مهمة نحو تطبيع العلاقات بينها وبين الدول العربية الأخرى، بعد طول مقاطعة.

وفي عام 2006، كان يجري بناء ثلاث قواعد أمريكية في شمال العراق قرب موقع تشييد خط أنابيب النفط المحتمل المتد من حقول نفط كركوك إلى مرفأ الشحن الإسرائيلي وإلى حيفا، حيث يتم تكرير النفط [69]. هذا فضلاً عن إمكانية تحويل مياه العراق الغزيرة إلى إسرائيل للتخفيف من أزمتها المائية [70]. ومثلما هو معروف، فإن للإسرائيليين أطماعاً قديمة في مياه العراق، خاصة وأنهم يَعتبرون حدود إسرائيل قائمة من "الفرات إلى النيل"، وهما النهران اللذان يُرمز إليهما بخطين أزرقين في العلم الإسرائيلي.

وعلى صعيد آخر، تُعد إيران بنظر الإسرائيليين أخطر الأعداء، لكونها - كما يقولون - على مقربة من امتلاك السلاح النووي. والحقيقة أن الإسرائيليين يعتبرون أي بلد إسلامي أو عربي يسعى لامتلاك أسلحة نووية أو يمتلكها حقاً خطراً عليهم، ويجب التصدي له.

وقد دعا بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي، العرب إلى التنسيق مع تل أبيب لمواجهة طهران، على اعتبار أن الملف النووي الإيراني يعد هاجساً مشتركاً بين إسرائيل والدول العربية [71]، وخاصة منها الخليجية لكونها قريبة من إيران وتخشى على أنظمتها من المد الثوري الإيراني، وكأن نتنياهو أراد أن يطمئن العرب بشأن الترسانة النووية الإسرائيلية!

صرح بنيامين إليعازر، وزير الدفاع الإسرائيلي، قبل شهرين من اندلاع الحرب على العراق، قائلاً: "العراق مشكلة... ولكن عليك أن

تدرك إن سألتني، أن إيران اليوم أشد خطراً علينا من العراق" [72]. ولذلك، فإن دفع الولايات المتحدة إلى مواجهة مع إيران، من خلال فرض عقوبات اقتصادية وشن هجوم عسكري ضدها، كان ولا يزال على رأس أولويات إسرائيل ومؤيديها في الولايات المتحدة.

فبعد ستة أشهر من غزو العراق، واصلت إسرائيل خوض حملتها ضد إيران، وكان المحافظون الجدد يشهرون لتلك الحملة. فقد ورد في مقال للصحفي تيريل أرنولد، بأن وزير خارجية إسرائيل، سيلفان شالوم، ذكر بأن إيران تقترب بسرعة من نقطة اللارجوع في محاولاتها لإنتاج الأسلحة النووية [73]، وكانت تلك صرخة استنفار تحمل بصمات المحافظين الجدد لدفع الولايات المتحدة وحلفائها لضرب إيران.

وقد حاول رعنان لوري، من "مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية" في واشنطن، ذي العلاقات القوية مع المحافظين الجدد، أن يفسر وجهة نظر رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، أرييل شارون، الداعية لضرب إيران، على النحو الآتي: "لا يُعقل أن تهاجم الجيوش الأمريكية العراق وتنجح في هجومها وتدمر مختبراته وترسانته غير التقليدية ثم تعود إلى الديار لتُستقبَل استقبال الأبطال في جادة ويلشاير، ثم تذهب في أجازة إلى الشواطئ فيما إيران لا تزال كما هي ... تخيلوا جراحاً يشق جمجمة مريض فيها وَرَمَان خبيثان فَيَستأصِل واحداً منهما فقط. والمنطق يقول إنه ما دام أمام تلك الجمجمة، فإنه يتعين عليه أن ينتفع من الشق نفسه لإزالة الورم الثاني" [74].

إذاً، كانت إسرائيل تريد أن تكون هي القوة النووية الوحيدة في المنطقة حتى تفرض وجودها، ولذلك تصدت لكل محاولة من شأنها أن تفضي إلى امتلاك القدرة النووية حتى ولو لأغراض سلمية، ولا تزال عملية تدمير المفاعل النووي العراقي في عام 1981 من قبل إسرائيل شاهداً على ذلك.

ورغم المساعي الإسرائيلية الحثيثة لتزعم منطقة الشرق الأوسط، يستبعد الدكتور أحمد عظيمي، الأستاذ بكلية العلوم السياسية والإعلام بجامعة الجزائر 3، أي دور لإسرائيل لقيادة هذه المنطقة، ويعتقد بأن قاطرة القيادة لن تكون سوى إيران أو تركيا؛ ولأن لتركيا خطوات أوسع – كما يقول - فهي الأوفر حظاً في قيادة هذه المنطقة – برأيه - وذلك لعوامل كثيرة [75]. وتذكر بعض الدراسات بأن إيران ستدير ظهرها للمنطقة العربية وستتوجه نحو ما كان يُعرف بـ "الجمهوريات الإسلامية السوفياتية"، لكن حتى في هذه المنطقة سيكون الصراع بينها وبين تركيا على أشده، باعتبار أن هذه الجمهوريات كانت ذات يوم جزءاً من الإمبراطورية العثمانية التي ورثت تركيا أردوغان تركتها [76].

ويرى الأستاذ وليد عبد الحي، المختص في الدراسات المستقبلية، بأن امتلاك السعودية بشكل خاص ودول الخليج بشكل عام لأدوات القوة الناعمة (الأموال ووسائل الإعلام المختلفة) لا يكفي للعب دور الدولة المركز في بيئة كثيراً ما احتكم اللاعبون فيها لأدوات القوة الخشنة، بينما تبدو تركيا – برأيه - منغمسة في جهود التحلل من بيئتها الإقليمية لصالح الإرتباط بأوروبا [77].

وبناءً عليه، يرى الأستاذ عبد الحي بأن التنافس محصور بين إسرائيل وإيران، غير أن أيّاً منهما لن يسمح للآخر بأن يتحكم بقدر كافٍ في تفاعلات النظم الفرعية الإقليمية لكل منهما، كما أن أيّاً منهما – كما يضيف - لا يمتلك ما يكفي من أدوات القوة الناعمة والخشنة على حد سواء لتحقيق مكانة الدولة المركز في المدى الزمني الممتد حتى عام 2000 [78]، ما يعني أن هذه المنطقة ستظل محل تجاذبات بين هاتين القوتين، وخاصة في ظل تراجع الدور المصري الذي شغلته الأحداث الداخلية عن لعب أي دور خارجي يُذكر.

وهكذا، يتضح بأن منطقة الشرق الأوسط ستبقى دائمة الغليان وموضع تنافس وصراع، سواء من قبل

القوى المكونة لها أو من قبل القوى الخارجية التي تتصارع على ثرواتها وعلى موقعها الإستراتيجي، هذا دون نسيان ما تمثله المنطقة من إرث حضاري وإنساني لا مثيل له.

الهوامش:

---

(1) عبد الإله بلقزيز، "تحديات إقامة 'النظام الشرق أوسطي' وانعكاساته على مجال الثقافة"، مجلة **المستقبل العربي**، العدد 203 (يناير 1996)، ص 14 -15.

(2) Mohamed Troudi, « L'Iran et les pays arabes, une relation ambivalente et compliquée », **POLITIQUE-ACTU.COM**, 07/10/2013 :

http://www.politique-actu.com/dossier/iran-pays-arabes-mohamed-troudi/62574/

(3) Ibid.

* أسس ليدين هذا المركز مع مايكل أميتاي، المدير السابق للأيباك، وجيمس وُولسي، المدير السابق "للسي.أي.إي"، وغيرهما. ومن المؤيدين لهذا المركز شخصيات كثيرة من مراكز أبحاث ومؤسسات مختلفة مناصرة للمحافظين الجدد.

(4) باتريك سيل، "هل تكون إيران الهدف التالي؟"، في: صالح زهر الدين (محرر)، **موسوعة الإمبراطورية الأمريكية - المحافظون الجدد في الولايات المتحدة**، ط3 (بيروت: المركز الثقافي اللبناني، 2004)، ص 307.

(5) المرجع نفسه، المكان نفسه.

(6) جون ميرشايمر وستيفن وُولت، **اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية**، ترجمة: د. إبراهيم الشهابي، ط1 (دمشق: دار الفكر، 2006)، ص 74 -75.

(7) المرجع نفسه، ص 75.

(8) محمد إبراهيم بسيوني، **المؤامرة الكبرى: مخطط تقسيم الوطن العربي**، ط1(دمشق - القاهرة: دار الكتاب العربي، 2004)، ص 99.

(9) إيلين س. هاغوبيان، "تشابك سياسة اليمن والسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط: ترسيخ تشبيه العرب/المسلمين بالشياطين"، في: إيلين ك. هاغوبيان (محررة)، **إستهداف العرب والمسلمين: الحقوق المدنية في خطر**، ترجمة: د. حمد توفيق البجيرمي(الرياض: مكتبة العبيكان، 2006)، ص327.

(10) باتريك سيل، مرجع سابق، ص 305.

(11) جون نيوهاوس، **أمريكا الإمبريالية: هجوم بوش على النظام العالمي**، ترجمة: مصعب حمادي، ط1 (دمشق: دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، 2007)، ص 11.

(12) David Ignatius, « An Iranian Missile Crisis », **Washington Post**, April 12, 2006, at: ☐

http://www.washington.com/wp-dyn/content/article/2006/04/11/AR2006041101078.html

(13) وليم بولك، "التحديات التي تواجه الرئيس المنتخب أوباما"، مجلة **المستقبل العربي**، العدد 358 (ديسمبر2008)، ص 11.

(14) هادي قبيسي، **السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية**، ط1 (بيروت: الدار العربية للعلوم - ناشرون، 2008)، ص 97 - 98.

(15) مع محمد البرادعي، المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية، مجلة **Newsweek** (بالعربية)، العدد 451 (2009/02/10)، ص 5.

(16) نعوم تشومسكي، **الدول الفاشلة**، ترجمة: سامي الكعكي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2007)، ص 93 - 94.

(17) نعوم تشومسكي، **ماذا يريد العم سام؟!!** تعريب: عادل المعلم، ط1 (القاهرة: دار الشروق، 1998)، ص 50.

(18) نصير عاروري، "مدى أمريكا العالمي وحرب جورج بوش الصليبية على الإرهاب"، في: إيلين ك. هاغوبيان (محررة)، مرجع سابق، ص 257.

(19) سكوت ريتر، **إستهداف إيران**، ترجمة: أمين الأيوبي، ط1 (بيروت: الدار العربية للعلوم – ناشرون، 2007)، ص 287.

(20) جون نيوهاوس، مرجع سابق، ص 52.

(21) المرجع نفسه، ص 287.

(22) Jean- Sylvestre Mongrenier, « La Turquie, puissance régionale et pivot géopolitique», **Institut Thomas More**, 05/09/2009, p. 1.

(23) "المملكة وتركيا..ميزان القوة والحكمة في الشرق الأوسط"، صحيفة **اليوم** السعودية، 2013/05/18، على الرابط:

http://www.alyaum.com/News/art/82464.html □

(24) المرجع نفسه.

(25) Jean- Sylvestre Mongrenier, op.cit., p. 1.□

(26) "المملكة وتركيا.. ميزان القوة والحكمة في الشرق الأوسط"، مرجع سابق.

(27) «La Turquie entre Europe et Asie .. Une nouvelle puissance régionale», **La documentation française**, 17/12/2010 :

http://www.ladocumentationfrancaise.fr/dossiers/turquie-europe-asie/puissance- regionale.shtml

(28) منال لطفي، " تركيا من أتاتورك الى أردوغان"، الحلقة الثانية عشرة، "الخوف من تركيا.. عندما تغضب"، صحيفة **الشرق الأوسط**، لندن، **2007/ 11/2، العدد 10566، على الرابط:**

http://www.aawsat.com/details.asp?issueno=10566&article=443966

(29) Ibid.

(30) Ibid.□

(31) إلهام محمد شاهين، "مصر مشغولة بثورتها..وصراع إيراني تركي على زعامة المنطقة"، شبكة الإعلام العربية **MOHEET.COM**، 2012/04/27، على الرابط:

http://moheet.com/News/NewDetails/338818/1/

(32) منال لطفي، مرجع سابق.

(33) المرجع نفسه.

(34) المرجع نفسه.

(35) Ibid.

(36) "المملكة وتركيا.. ميزان القوة والحكمة في الشرق الأوسط"، مرجع سابق.

(37) المرجع نفسه.

(38) "علاقات تركيا مع عالم عربي متغير"، (ندوة من تنطيم **مركز كارنيغي للشرق الأوسط**، (بيروت: 2011/05/03)، على الرابط: http://carnegie-mec.org/events/?fa=3241

(39) يسرا الشرقاوي، "تركيا - أمريكا.. سيلسة خارجية بملامح جديدة"، مجلة **السياسة الدولية**، العدد 171 (يناير 2008)، ص 109.

(40) المرجع نفسه، ص 110.

(41) المرجع نفسه، المكان نفسه.

(42) المرجع نفسه، ص 109.

(43) Mohamed Troudi, op.cit.

(44) W. Andew Terrill, « The Saudi-Iranian Rivality and the Future of Middle East Security », **Strategic Studies Institute**, 08/12/2011, p. 1-2

(45) Ibid.

(46) Ibid.

(47) فهد العرابي الحارثي، **أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية.. والعدل**، ط2 (الرياض: دار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، 2004)، ص 84.

(48) Ibrahim Warde, **Propagande impériale et guerre financière contre le terrorisme**, Traduit de l'anglais par Frédéric Cotton (Marseille: Ed. Agone, 2007), pp. 119 -120.

(49) Eric Laurent, **La Guerre des Bush: Les secrets inavouables** (Paris: Ed. Plon, 2003), p. 110.

(50) يوسف إبراهيم الجهماني، **الإسلام والغرب: العلاقات السعودية الأمريكية نموذجاً (11 أيلول/ سبتمبر)**، ط1 (دمشق: دار حوران، 2003)، ص 78.

(51) Eric Laurent, **La Guerre des Bush**, op. cit., p. 111.

(52) David Wurmser, «The Saudi Connection », **The Weekly Standard**, Oct. 29, 2001:

http://www.weeklystandard.com/Content/Public/Arti

cles/000/000/000/393rwyib.asp

(53) إدوارد تيفين، **اللوبي: اليهود وسياسة أمريكا الخارجية**، ط1 (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1988)، ص 162، 219.

(54) ياسر حسين ومحمد بسيوني، **الحروب المقدسة: أمريكا والمسيحية الصهيونية**، ط1 (القاهرة: دار البروج، 2003)، ص 76 - 77.

(55)Robert S. Greenberger and Karby Leggett, « Bush Dreams of Changing Not Just Regime but Region », **The Wall Street Journal**, March 21, 2003, at : http://online.wsj.com/article/SB10481991589095700.html

(56) باتريك بوكانان، "حرب من ؟"، مجلة **شؤون عربية**، العدد 114 (صيف 2003)، ص 98.

(57)Charles Krauthammer, « Iraq : Coming Ashore », **TIME**, Feb. 17, 2003, at : http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,1004236-1,00.html

(58) جيمس نويز، **الحرب الأمريكية على الإرهاب وأثرها على العلاقات الأمريكية - العربية**، سلسلة محاضرات الإمارات؛ 94، ط1، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2005)، ص 37.

(59) مايكل كولينز بايير، **كهنة الحرب الكبار**، ترجمة: عبد اللطيف أبو البصل، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 2007)، ص 45.

(60) المرجع نفسه، المكان نفسه.

(61)Michael Kinsley, «What Bush Isn't Saying About Iraq», **Slate**, Oct. 24, 2002, at : http://www.slate.com/ ?id= 2073093

(62) جايمس بتراس، **سطوة إسرائيل في الولايات المتحدة**، ترجمة: حسان البستاني، ط1 (بيروت: الدار العربية للعلوم - ناشرون، 2007)، ص 95.

(63) محمد إبراهيم بسيوني، مرجع سابق، ص 93.

(64) مجموعة مؤلفين إسرائيليين، **الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق**، ترجمة: أحمد أبو هدبة، ط1 (دمشق: مركز الدراسات الفلسطينية، 2005)، ص 171 - 172.

(65) منال لطفي، مرجع سابق.

(66) جايمس بتراس، مرجع سابق، ص 101.

(67) المرجع نفسه، ص 94.

* خط الأنابيب القديم هذا كان يمتد من الموصل إلى حيفا، وأُقفل في عام 1948 مع إنشاء الكيان الصهيوني، ويُراد له أن يَنبعث اليوم كخط أنابيب كركوك – الموصل - حيفا.

(68) جايمس بتراس، مرجع سابق، ص 46 - 47.

(69) المرجع نفسه، ص 47.

(70) وليام بلوم، "التاريخ الوجيز للتدخلات الأمريكية في العالم، من عام 1945 إلى اليوم"، في برند هام (محرر)، **الولايات المتحدة: الصقور الكاسرة في وجه العدالة والديمقراطية**، ترجمة: نور الأسعد، ط1 (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2006)، ص 286.

(71) صحيفة **الخبر**، الجزائر، العدد 7215 (2013/10/05)، ص 16.

(72) جون ميرشايمر وستيفن وُولت، مرجع سابق، ص 73.

(73)Terrel E. Arnold , « Iran- The Next Israeli Domino », **Rense.com**, Sep. 2, 2003, at : http://rense.com/general41/iran.htm

(74) بنجامين ر. باربر، **إمبراطورية الخوف: الحرب والإرهاب والديمقراطية**، ترجمة: عمر الأيوبي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2005)، ص 92.

(75) إلهام محمد شاهين، مرجع سابق.

(76) المرجع نفسه.

(77) وليد عبد الحي، **إيران.. مستقبل المكانة الإقليمية عام 2020** (الجزائر: مركز الدراسات التطبيقية والإستشراف، 2010)، ص 552.

(78) المرجع نفسه، المكان نفسه.